المحاضرة رقم 01: مدخل إلى المصادر التاريخية وأهميتها :

توطئة:

قبل أن نتكلم عن المصادر التاريخية وماهيتها وأنواعها و كيفية التعامل معها لا بأس أن نتوقف قليلا لنتكلم عن التاريخ باعتباره فنا من الفنون أو علما من العلوم انطلاقا من أقوال بعض المؤرخين.

فيقول ابن خلدون : "**اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جمّ الفوائد ، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، و الأنبياء في سيرهم ، و الملوك في دولهم و سياستهم ، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لم يرومه في أحوال الدين و الدنيا. فهو محتاج إلى مآخذ متعددة و معارف متنوعة ، و حسن نظر و تثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق و ينكبان عن المزلاّت و المغالط. لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، و لم تحكم أصول العادة و قواعد السياسة و طبيعة العمران و الأحوال في الإجماع الإنساني ، و لا قيس الغائب منها بالشاهد و الحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور و مزلّة القدم و الحيد من حادة الصدق و كثيرا ما وقع للمؤرخين و المفسرين و أئمة النقل المغالط في الحكايات و الوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها و لا قاسوها بأشباهها.**"[1]

ثمّ يلخص القولالمراكشي بـ:"**و أما علم التاريخ فهو معرفة أحوال الطوائف و بلدانهم و رسومهم و عاداتهم و صنائع أشخاصهم و أنسابهم و وفياتهم إلى غير ذلك، و موضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء و الحكماء و الملوك و الشعراء... الغرض منه الوقوف على الأحوال و فائدته العبرة بتلك الأحوال...**"[2].

1- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 23.

2- العباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، **الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص 134.

وأما صاحب كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ"... **وفي الاصطلاح فهو التعريف بالوقت الذي يضبط به الأحوال... و أما فائدة التاريخ فمعرفة الأمور على وجهها ..."**

أهمية المصادر والمراجع في البحث العلمي :

تعد المصادر المكتوبة مادة أساسية في كتابة اللتاريخ ، فهي بمثابة الهواء و الماء للإنسان إن جاز التعبير، ويشير أسد بن رستم في كتابه " مصطلح التاريخ " :" ...إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها... " ؛ بحيث يمكن أن نجمل المصادر في المادية واللامادية ، أما المصادر المادية فيعبر عنها ناصر الدين سعيدوني في كتابه " أساسيات منهجية التاريخ " قائلاً :" تشمل جميع المخلفات المادية التي تعود إلى الماضي سواء كان قريبًا معاصرًا أو بعيدًا يعود إلى عصور ما قبل التاريخ منها العمارة والزخرفة و المنحوتات .

و إنّ منها الآثار المادية التي تمثل بحق شواهد أصلية للنشاط الإنساني لأنها تعتبرر أصدق عن الحقيقة وتعكس واقعًا معاشًا، مثلاً الآثار الرومانية بالجزائر تعبر عن طراز المعمار أو العمارة ونوع الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، الآثار المكتوبة والتي تعرف بالأصول كونها سجل تفصيلي للحوادث ؛ فهي المادة الخام التي تساعد الباحث التاريخي في عملية التدوين لذلك فهي أحد أهم مصادر التاريخ.[3]

" إن الحديث عن المصادر التاريخية يستدعي وقتًا طويلاً للفصل فيه لأنها كثيرة ومتنوعة بحيث تنقسم إلى القديمة (المصادر) وهناك مصادر حديثة ألفها الباحثون معتمدين فيها على المصادر الأولية قسم المرجع "

المصادر كثيرة منها الأساسية والثانوية اعتمادا على الفترة الزمنية التي يعالجها الموضوع ملاً كتابات الواقدي (ت 207 هـ) حين يتحدث عن الفتوحات العربية الإسلامية في العهد الأموي هي أصدق مادة مصدرية فيعتبر كتابه مصدرًا أوليًا أمّا ما كتبه ابن الجوزي (ت 597 هـ) في كتابه " المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " فلا يعتبر كذلك ، إن المصدر القديم يكون صاحبه قد

ناصر الدين سعيدوني،أساسيات منهجية التاريخ دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2000 ، ص38

عاين الحدث وكان قريبًا منه مثلاً تاريخ العراق في القرن 3ه فلا نجد أصدق من كتاب اليعقوبي (ت 284ه)

مادة التاريخ هي الحوادث البشرية التي لايمكن إخضاعها للتجربة ،يقول المفكر الفرنسي المعاصر" بول فاليري " : " إنّه أخطر إنتاج صنعته كيمياء الفكر..."

" التارخ معرفة علمية دقيقة ، غنية بالتجربة قرون طويلة ، وإنّ لها منهجها أو طرائقية في البحث والاستقصاء عن الحقيقة لا تقل في علميتها وصحة وسائلها عن مناهج العلوم الوضعة الأخرى ، يقول أحد المفكرين الفلاسفة " سبينوزا : أنّ التسليم بالواقع هو نوع من الجبن العقلي ".

للمصادر والمراجع أهمية كبيرة في البحث العلمي ، وتكمن أهمية المصادر والمراجع في مجموعة من الأمور ومن أهم هذه الأمور أنها تقدم معلومات كبيرة تساهم في إثراء البحث العلمي بشكل كبير لذلك يجب على الباحث أن يعود لأكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع حتى يتوخى الموضوعية و المصداقية .

ويعد توثيق المصادر والمراجع من أهم الأمور التي يجب على الباحث أن يقوم بها ويقوم الباحث بهذا الأمور وفق أسس التوثيق المتبعة ، وفي حال لم يقوم الباحث بتوثيق البحث العلمي ، فهذا يعني تعرضه لتهمة السرقة الأدبية و الانتحال .

تفيد المصادر و المراجع في بناء معرفة الماضي و فهم الحاضر و استشراف المستقبل، وان الاستفادة منها تستدعي الى حضور التحليل و النقد و الاخضاع الى التمحيص قبل الحكم .

وعلى العموم لا بد من الاقرار باهمية المادة المصدرية لانها سلاح الباحث الذي لا غنى عنه في كتابة التاريخ.